حوادث الثامن ماي 1945م في الجزائر: واقعها وتداعياتها.

د بن الشيخ حكيم*

مقدمة: تعد كتابة التاريخ الوطني الجزائري من أولويات كل باحث وناقد ومتحر للحقيقة، بل هو أكثر من ضرورة لإعادة رسم وقائعه بما يتلاءم وتطلعات شعبه وبما تستلزمه شخصيته الأدبية والثقافية، وواجبه العلمي والوطني، وفي ذلك يقول السيد فرحات عباس: «فبجانب أكاديميات حربية، شيدت أوروبا أكاديميات أخرى تعرف بأكاديميات العلوم الاستعمارية لقنت فيها فن التزوير والتحريف والتزييف، قصد الاستثمار والاستغلال»[1].

ولما تعرضت ذاكرتنا للعبث والتزوير من قبل الأقلام الاستعمارية وتوابعها فإنه لابد لنا اليوم أن نتحرى الحقيقة من الزيف وأن نحاول فهم تاريخنا الحديث والمعاصر، بناء على مصادره ووفقا لمادته الخام، حتى نتمكن من المساهمة في بناء المدرسة التاريخية الجزائرية، ورغم اجتهادات كثيرة هدفها جمع وترتيب وإثراء المكتبات الجزائرية بالنصوص ذات الصلة بتاريخنا الحديث لكنها تبقى إسهامات لها ثغراتها رغم أهميتها في دعم مصادر الحركة الوطنية أو تاريخ الجزائر، وبالرغم من أن دراستنا هذه لتاريخ الجزائر لم تكن أول أو آخر ما كتب، إذ سبقنا جيل آخر بالبحث والتنقيب عن جذور المأساة، غير أنني أجد نفسي ملزما ككل باحث جزائري يهتم بقضايا التاريخ وأحداثه، أن أسهم ولو بجهد متواضع لأعبر على سنوات الاستعمار التي طالت وطننا وكياننا ومقدساتنا وهويتنا طيلة 132سنة، كرست خلالها الإدارة الاستعمارية سياسة الإلحاق والتقتيل والكراهية والممارسات اللاإنسانية.

والجدير بالذكر أن مجازر 08 ماي 1945 ليست أولى ضحاياه ولكن وجوده مليء بالتجاوزات والاضطرابات والمعاناة، ولما كان لزاما علينا أن نكتب ونسهم في إعادة كتابة تاريخنا الوطني حتى نخلصه مما علق به من الشوائب والتزوير، جاء هذا الموضوع حول 08 ماي

*- أستاذ محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة محمد بوضياف- المسيلة.

1945 هذا التاريخ الذي يمثل في حقيقة الأمر خرقا لكل المواثيق والأعراف الدولية، وتعد صارخ على القانون الدولي وقضايا حقوق الإنسان، مع أن فرنسا كانت أولى الداعين إلى ذلك من خلال ديباجة الثورة الفرنسية 1789م.

هذا ويمكننا أن نشير إلى مقولة أحد المفكرين[2] بما يلي: «كيف يطالب الإنسان العربي بأن يكون إنسانا جديدا ولا سيما بعد هذه السلسلة من النكبات إذا ما ظل فاقدا حتى هذه الحرية الشكلية ؟ وكيف يمكن أن نعثر على الإنسان العربي إذا لم يعثر هو على ذاته حتى يمثل هذه المسألة الضيقة وإن تكن أساسية».

والحال كذلك عندما وقعت مجازر 08 ماي 1945م وحين اختلط فيها حلم الاستقلال والإنعتاق بواقع الاستعمار، وبين هذا وذاك ظلت الأمة الجزائرية وإلى غاية هذا التاريخ تبحث عن دعائم تواصلها ولوازم تجددها، وتنظر بعين اللهفة إلى من ينجدها ويخرجها من ليل الاستعمار ودهاليز الظـــلام إلى نور الأمان والتحرر.

وإذ أجدني لا أضع قيودا لهذا المبحث لا لقصور منهجي، ولكن لأجعل نهايات المسألة تتعزز حقائقها بين المؤرخ والباحث والمهتم، ولكل فكره ومنهجه وأداته في البحث والاستقصاء، ثم الاستنتاج والحكم في أخر المطاف.

ولما كنت مقتنعا أن لكل بحث أو دراسة إشكالية، وجدت أنه من الأهمية بمكان أن أضع بدوري جملة من الإشكاليات وإن شئت أن تسميها تساؤلات حول مأساة 08 ماي 1945م وهي كالآتي:

- هل حوادث 08 ماي هي مجرد مواجهات اندلعت كرد فعل ضد تدخل البوليس الفرنسي لقمع مسيرات سلمية ؟

- هل حوادث 08 ماي هي أحداث منظمة دعت إليها أحزاب وجمعيات سياسية، أم جاءت لتعبر عن حالة وعي وإدراك لمصير هذا الشعب، الذي عاش وذاق الويلات؟ فانتفض وثار ليغير ما أصابه، ويعبر عن آلام وجراح طالته في نفسه وكرامته وعزته، فاستغل مرحلة الانتصار على النازية سنة 1945، وراح يذكر فرنسا بالوعود التي قطعتها على نفسها، وبذالك كان لابد من القطيعة بين الاستعمار الفرنسي والجزائر؟

- هل 08 ماي 1945 أحداث،أم مظاهرات، أم مأساة، أم انتفاضة، أم هي ثورة فاشلة، أم مرحلة هيجان أم أنها كل ذلك لتشابه الدلالات والنتائج؟.

وبنظرة فاحصة ودقيقة لأوضاع ما قبل 08 ماي نرى بأنه في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ الجزائر وقبلها أثيرت مسألة وجود الدولة الجزائرية أو غيابها[3] وهل كانت لها السيادة التي هي دعامة هذه الأمة وعنفوانها، حينها تنكرت الإدارة الاستعمارية لحقوق هذا الشـــعب وتملصت من واجباتها اتجاهه، كما صرح بذلك الجنرال ديغول سنة 1959م لقوله: «بأن الجزائريين لم يعرفوا الوحدة ولم يتمتع الشعب الجزائري على الإطـــــلاق بالسيادة عبر التاريخ، حيث أن الجزائر احتلها القرطاجيون، والرومان، والوندال، والبيزنطيون والعرب السوريون وعـــرب قرطبة، والأتراك، والفرنسيون وأن هؤلاء جميعا احتلوا الجزائر من دون أن تكون هناك حكومة جزائرية»[4].

والواقع أننا عندما ندرس مأساة 08 ماي 1945م، إنما نميز عهدا جديدا وفاصلا تاريخيا هاما، وأداة للقوة النفسية المتوازنة، نؤكدها من خلال قدرة الشعب الجزائري، في وقت حفل بالمتغيرات السياسية والاقتصادية على التحدي والنهوض ورفض إرادة الباطل، ولعلها من المفارقات التي صنعت من العجز قوة ومن الشيء كيانا قائما، ثم إن الإمكانية التاريخية ليست يوما واحدا

السيد مصالي الحاج زعيم اتجاه الاستقلال

بعده الظلام، لأن الذي يصنع هذه الإمكانية هو مزيج من آمال ونضال الشعوب وليست عود ثقاب يشتعل بسرعة ثم تنطفئ.

لذلك فقد رأى الشعب الجزائري غايته في هذه الحياة قد تمثلت له وكأنه يراها رائي العين وسعى إليها بدافع عجيب، فأدرك بعدها الأهداف فمشى صوبها حتى أصبح سلوكه عنوانا لنظرية المقاومة والتصدي والوطنية، وإذا حللنا هذه القضية الوطنية فإننا نجد فيها أيضا مع الأشياء المكتسبة أشياء من الأصالة وحضارة هذه الأمة .

أ- حوادث 08 ماي بين الواقع والعفوية: الظاهر أنه كان للحركة الوطنية الجزائرية جوانبها الإيديولوجية وكذلك السوسيولوجية والسيكولوجية، لأن وقائع 08 ماي إنما هي تبدل في نفسية الجزائري الذي رفض الخنوع لسياسة المستعمر، فغير سياسته واستراتيجيته التي أضاءت له ما حوله، وكشفت عن مؤامرات ودسائس دبرت في الخفاء حتى يكون التخطيط ناجعا والجرم أكبر.

فجاءته بالتالي مرحلة الانعطاف التي عبر عنها المؤرخون: «أنه هناك في التاريخ شيء اسمه (نقطة الانكسار) وهي تصيب الأفراد وتصيب الجماعات، ترغمهم على أن يتمردوا في لحظة من اللحظات حتى وإن بدا تمردهم يائسا»[5]، وعموما لم تكن حوادث 08 ماي 1945 انتفاضة عفوية ولكنها كانت تسلسلا تاريخيا فرضته الأحداث المتعاقبة وحتمية الظروف القاسية وفي ذلك يقول السيد قنانش: «يجب أن ندرس أحداث 08 ماي 1945 على أنها مقدمة لمرحلة جديدة عانـــينا فيها الأمرّين وأصبحنا نجر ذيول الخيبة والتمزق»[6]. وإذا اعتبرنا أن الوجود الفرنسي في الجزائر أكبر جريمة فإن حوادث 08 ماي هي أم الجرائم على الإطلاق، لأن المستعمر قتل من الجزائريين الآلاف وزج بالكثير في السجون[7].

هذا وقد أورد السيد الشاذلي المكي ملخصا عن الأوضاع التي سادت سنة 1945 من خلال الجرائد الرسمية للإدارة الاستعمارية، مثل جريدة ليبرتي (Liberté)، وألجي روبليكان (Républicaine Alger) وغيرهما مايلي: «على إثر فاجعة الجزائر الجزائر أنشئت [المليشيا] وألغيت كل الحريات الديمقراطية، وتقلدت السلطة العسكرية أمور الشرطة، فأعلنت الطوارئ وصدرت القوانين الاستثنائية والأحكام العرفية، وسلح كل الأوروبيين وأصبح الجزائريون لا يؤذن لهم بالخروج من دورهم إلا إذا كانوا يحملون شارات على سواعدهم أذنت لهم بها السلطة بعد تحقيق دقيق يثبت أن لهم أعمالا في المؤسسات العامة »[8].

وقد تشكلت هذه المليشيات من قدماء المحاربين الفرنسيين والمتطوعين الأوروبيين إضافة إلى السيد Garrivet. ورئيس قدماء المحاربين السيد M.Camp قائد المكلف بالذخيرة

السيد كامب والسيد ميشيلان الذي كان يشغل آنذاك وظيفة الأمين العام للنقابات المحلية وغيرهم كثير[9] ثم أن مصادر هذا الثوران الشعبي وإن كان سلميا يوم 08 ماي 1945 فقد كانت له ظروفه ودواعيه، لأنه كان سيقع لا محالة، إما في هذا التاريخ أو بعده خاصة لما ظلت مظالم فرنسا تتخمر وتتعمق وتزداد خنقا في قلوب الجزائريين حتى إذ هم لم يتمكنوا من صدها وكتمها تفجرت فكأنها بركان خامد، حطم ما حوله فكان وقعه محمودا يوم خرج الآلاف من الجزائريين في أصقاع كثيرة من الجزائر وليس فقط في سطيف وقالمة وخراطة.

حينها أدركت فرنسا أن إرادة المظلوم المغتصب حقه لا تقهر وأن الشعوب وإن هي صبرت وسكتت يأتي اليوم الذي تعبر فيه عن وجودها وكيانها وكرامتها التي أهينت، وأن تدفع بهذا الظلم وأن تقهر الغزاة المعتدين وكذلك فعل الشعب الجزائري يوم الثامن من ماي 1945 ذودا عن الكرامة وإعلاء لحضارة طمست معالمها، وكيان ديس بالأقدام، وعن جنس ظل طوال قرون من الزمن يتفاعل ويتطور ويمد الحوض الغربي من المتوسط بثقافاته وتراثه وإسهاماته السياسية والفكرية والدينية والحضارية والعسكرية والاقتصادية، لأن التاريخ شهد بأن الجزائر ضاربة في أعماقه كان لها وجود نوميدي بقيادة ماسينيسا وزعيم للمقاومة كيوغرطة ضد الإمبريالية الرومانية سنوات طوال[10].

الواقع أن الإدارة الاستعمارية حاولت أن تنتقم من تنامي المد الوطني الذي أصبح يعبر عنه المستعمر بلفظ العاصفة، وفي هذا الصدد تذهب بعض الدراسات التاريخية إلى تأكيد فكرة أن أحداث 08 ماي 1945 كانت أحداثا مقصودة من قبل المستعمر، هدفها تحطيم الوطنية الجزائرية التي أخذت في النشوء والتطور(11) والقضاء على كل مبادرة غرضها التحرر والاستقلال وفي هذه الأثناء كان قد تتشكل حزب أحباب البيان والحرية في مارس 1944 بمدينة سطيف، وعندها جاءت فرصة الانتقام من الحركة الوطنية التي أخذت تثير مخاوف الإدارة الفرنسية، خاصة بعدما ازداد أتباعه من بقية الأحزاب وفي طليعتها حزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي، ناهيك عن الاتصالات الشخصية التي كانت بين قادة هذه الأحزاب، وأخص بالذكر العلاقات التي كانت بين فرحات عباس ومصالي الحاج رغم الاختلاف الذي ميز توجههما الإيديولوجي ورغم تباين منهجيهما[12].

لعّل الدارس لحوادث 08 ماي يعتقد بأنها الأولى في قائمة الجرائم الفرنسية والحال أن فرنسا ظلت تنكل بالجزائريين طوال فترة تواجدها بالجزائر ومنذ سنة 1830، لقول الجنرال

بيجو: «...هذا الرجل هو نفس الرجل الذي استنكر التقيد بالمبادئ الإنسانية وهذا التقيد هو السبب في امتداد حزب إفريقيا ما لا نهاية له» في رده على العمل الإجرامي الذي ارتكبه الكولونيل بيلسي عندما قام بحرق حوالي ألف شخص من الأهالي بعدما لاذوا بالمغارات بنسائهم وأطفالهم[13].

وبنظرة المؤرخ المتبصر يرى بأن المستعمر قد إختار شهر أفريل من سنة **1945** لترقية السيد ليستراد كاربونال (CARBONNEL LESTRADE) الذي كان حاكما لبلدية ممتزجة إلى عامل عمالة (والي)، وحينها أقر هذا الأخير للدكتور سعدان بأن حوادث ستقع وأن حزبا سيحل[14]، وفي نفس السياق ذهب النائب أبو (ABBO) وأحد المتشددين الفرنسيين بأن تشويشات ستنفجر ويتحتم على الجنرال ديغول التراجع عن قرار السابع من مارس **1944**م وهكذا تم حل حزب أحباب البيان والحرية وأعلن عن حالة الحصار وقنبلت القرى والمداشر الآهلة بالسكان وألقي القبض على زعماء الحزب والنقابات والشعب والعلماء وأبعد مصالي الحاج إلى إفريقيا الوسطى[15].

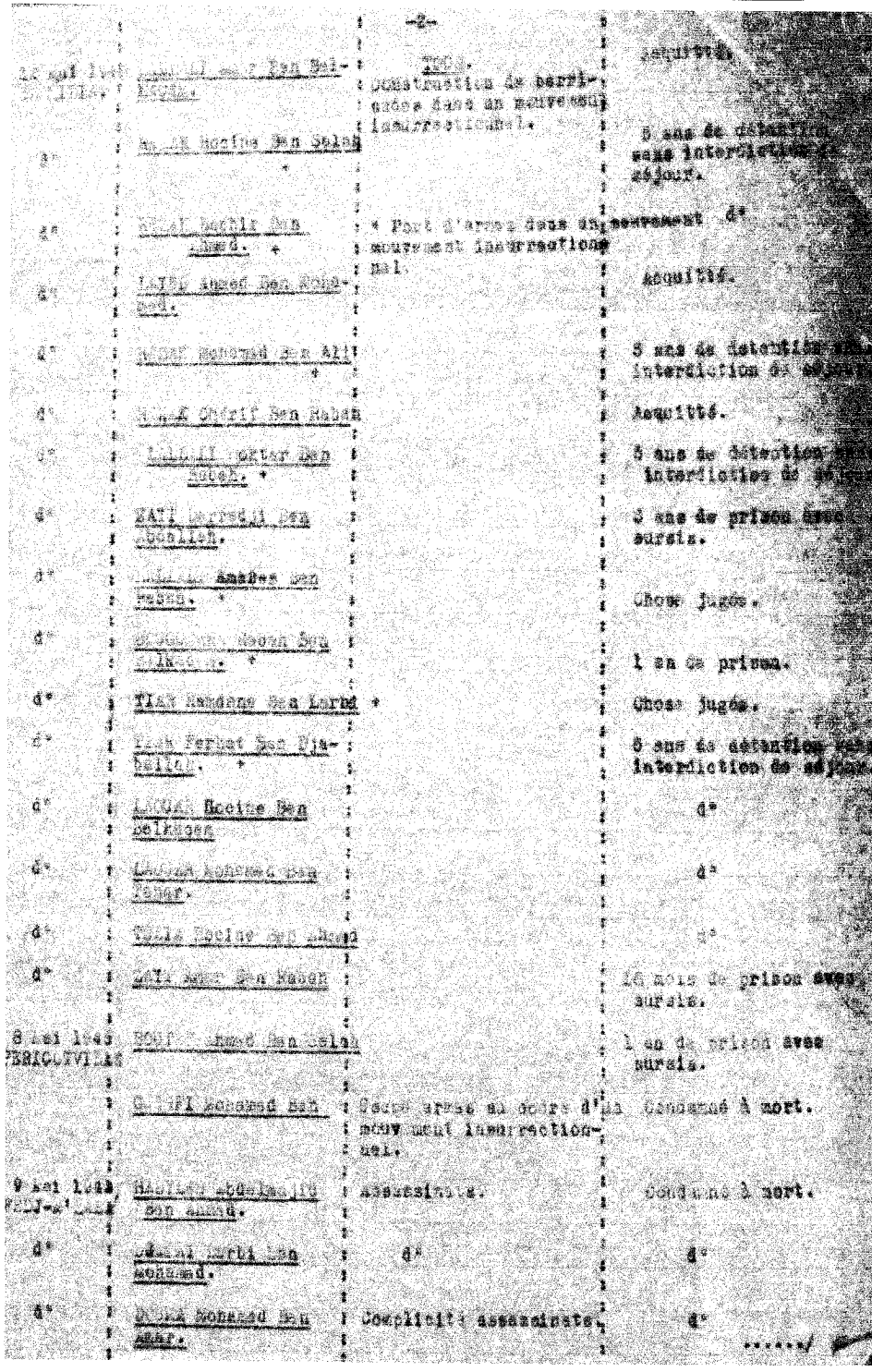

		-2-	
		TOTAL.	Acquittés.
12 mai 1945	Ahmed Ben Mohamed Ben Belkacem.	Construction de barricades dans un mouvement insurrectionnel.	
d°	Ben Ali Mohamed Ben Salah.		5 ans de détention sans interdiction de séjour.
d°	Ahmed Mahfir Ben Ahmed.	* Port d'armes dans un mouvement insurrectionnel.	Acquitté.
d°	Lafdy Ahmed Ben Mohammed.		
d°	Ahmed Mohamed Ben Ali.		5 ans de détention sans interdiction de séjour.
d°	Ben Ali Cherif Ben Mabrouk.		Acquittés.
d°	Lakhdar Ben Ahmed.		5 ans de détention sans interdiction de séjour.
d°	Kaci Mohamed Ben Abdallah.		5 ans de prison avec surveillance.
d°	Abdallah Ben Hassen.		Chose jugée.
d°	Abdallah Mohamed Ben Salah.		1 an de prison.
d°	Kaci Mohamed Ben Larbi.		Chose jugée.
d°	Kaci Ferhat Ben Djilalien.		5 ans de détention sans interdiction de séjour.
d°	Lakhdar Mohamed Ben Belkacem		d°
d°	Lakhdar Mohamed Ben Kaher.		d°
d°	Saïdi Mohamed Ben Ahmed.		d°
d°	Saïdi Amar Ben Mabrouk.		10 mois de prison avec surveillance.
8 mai 1945 RESISTANCE	Bouri Ahmed Ben Salah.		1 an de prison avec surveillance.
	Ben Ali Mohamed Ben	Coups armés au cours d'un mouvement insurrectionnel.	Condamné à mort.
9 mai 1945 Meurtre	Hadjadj Abdelmalik Ben Ahmed.	Assassinats.	Condamné à mort.
d°	Kaci Larbi Ben Mohamed.	d°	d°
d°	Kaci Mohamed Ben Amar.	Complicité assassinats.	d°

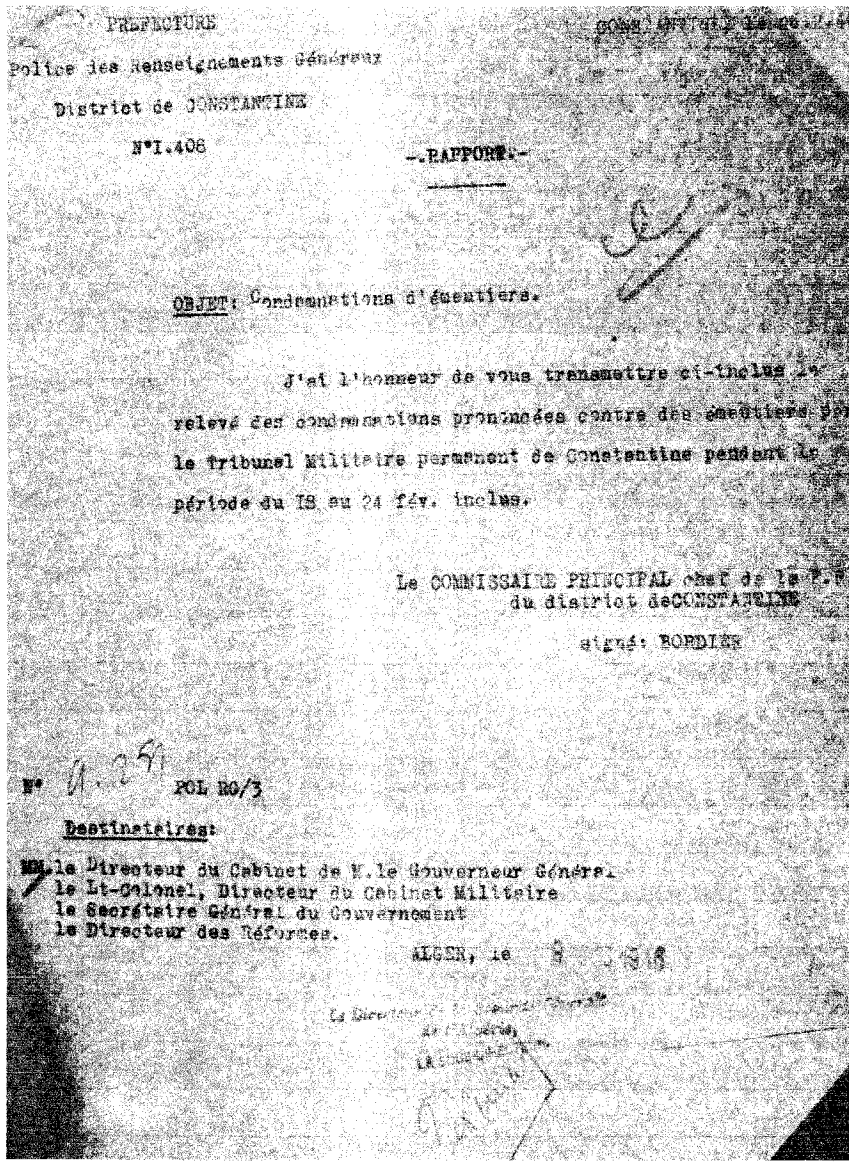

PREFECTURE

Police des Renseignements Généraux

District de CONSTANTINE

N°I.408

-.RAPPORT.-

OBJET: Condamnations d'émeutiers.

J'ai l'honneur de vous transmettre ci-inclus un relevé des condamnations prononcées contre des émeutiers par le tribunal Militaire permanent de Constantine pendant la période du 18 au 24 fév. inclus.

Le COMMISSAIRE PRINCIPAL chef de la P.J. du district de CONSTANTINE

signé: BORDIER

N° POL RG/3

Destinataires:

M. le Directeur du Cabinet de M. le Gouverneur Général.
le Lt-Colonel, Directeur du Cabinet Militaire
le Secrétaire Général du Gouvernement
le Directeur des Réformes.

ALGER, le

المصدر:

- **Caom Archives Aix en Provence, condamnation des émeutes 1945 carton 8CAB-112.**

والجدير بالذكر هو أن الراية الجزائرية ظهرت بشكل مفاجئ لدى السلطات الفرنسية ولأول مرة في تاريخ الجزائر المستعمرة، وهي صورة جديدة ورمز لنضال الجزائريين الذي أخذ يتطور، وترتسم معالمه نتيجة حالة الوعي التي بلغها.

غير أن جرائم فرنسا لم تقتصر على إبادة الجزائريين في 08 ماي 1945، ولكن جذوره تمتد إلى سنة 1830 وبعدها كذلك[16]، ففي عهد بيجو مثلا أي بعد سنة 1840 جاء جيل من الضباط الفرنسيين أصغر سنا وأشد بطشا، تصور كل منهم بأنه يحمل رسالة ويضيق ذرعا بمقاومة شعب رأى وجوب الاستقلال والتخلص من ربق الاستعمار[17]، وحتى بيجو نفسه كان يأمر بأن يعلق كل جزائري على ثيابه لافتة مشينة كتبت عليها «عربي خاضع »، وهذه أحد النقاط السوداء التي حفل بها زمن الاستعمار[18].

ولنا كذلك أن نعرض أحد الشهادات الهامة للدكتور ج.توماس الذي عمل طويلا بمستشفى مدينة الجزائر يقول: «لقد عشت في مدينة الجزائر فترة طويلة، وقد رأيت فرقا من الأطفال في أسمال بالية يجنون قوت يومهم... إني كنت في الجزائر سنة 1945 في وقت المجاعة عندما كان الآلاف من الناس يموتون جوعا خلال سنوات الجفاف، وشاهدت القمع المروع يعني حاثة 08 ماي 1945، الذي نتج عنه موت ستين ألف (60 ألف) وشاهدت أطفالا عمرهم سنة واحدة يأكلون التراب، كما شاهدت مائة شخص يموتون من الملاريا بضعة أيام بغرداية، فكيف لا نحصد الثورة عندما تكون قد زرعنا خلال هذه المدة الطويلة الحقد والإهانات والبؤس »[19].

ويظل الاعتقاد راسخا أن إيديولوجية هذا الشعب ذات البعد العربي الإسلامي تختلف شكلا ومضمونا عن الفكر الاستعماري الهدام، وبخاصة أن فرنسا كان هدفها القضاء على اللسان العربي في الجزائر، وخلق طبقة من المثقفين بالفرنسية يؤمنون بحضارة الغرب تؤهلهم للسيطرة على الشعب الجزائري[20].

ولا أظنني أقتنع بأسباب تأخر ظهور الفكرة القومية في الجزائر[21] والذي ترجعه بعض الدراسات التاريخية إلى التدهور الذي أصاب أركان المجتمع الجزائري، ثم إلى محاولات الاستعمار لتحطيم الثقافة الوطنية[22] لأن وطنية وقومية الجزائريين ظلت راسخة رغم ضغط المستعمر ورغم التهميش والإبعاد الذي لحق بهم وبأحزابهم، لأن المتتبع لوقائع هذه الأحداث يرى بأنها لم تؤدي إلى النتائج التي انتظرها المعمرون، لأن الشعب الجزائري ظل مجندا من أجل انتصار مطامحه الوطنية والقومية في الحرية والاستقلال، وبذلك حطم أسطورة تفوق الإنسان الأوروبي[23]، وقدمت دليلا على أنه لا مجال ووسيلة لدحض المستعمر سوى الثورة المسلحة وحتمية المواجهة مع القوى الظلامية، فتأسست المنظمة الخاصة في سنة 1947، وعاود حزب

الشعب إلى الظهور في تسمية جديدة هي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية[24] منذ نوفمبر 1946، كما أعيد تشكل حزب أنصار البيان والحرية رسميا .

صور من الإبادة الجماعية للجزائريين

ب- الدلالات التي تحتملها وقائع 08 ماي 1945: يختلف المدلول والمعنى والأسلوب والمصطلح بالنسبة للثامن ماي 45، بل وتتباين في الرؤى سواء كانت تعبر عن مواقف جزائرية

أو فرنسية أو حتى إنسانية، لكن الفكرة واحدة والمعنى واحد لأن الجرم المظلوم أوحد هو الشعب الجزائري في آخر المطاف، إنه رغم التباين في وجهات نظر المؤرخين على اعتبار **08** ماي أحداث أو مجازر، أو انتفاضة أو ثورة، غير أننا نقف على معنى واحد هو العنهجية الاستعمارية الغاشمة التي أرادت محو شخصيتنا ووجودنا بكل الاشكال وبكل الوسائل التي كانت تمتلكها.

ليس من الفلسفة في شيء حين نصور وقائع **08** ماي بالمأساة التي أصابت الشعب الجزائري بينما كان يتطلع إلى الاستقلال في حشود مسالمة، بناءا على وعود والتزامات فرنسا، ذلكم فرنسا التي تدعي في دساتيرها أحقية الأقاليم الواقعة في ما وراء البحار، بما في ذلك الجزائر وأقطار كثيرة في العالم المستعمر في المساواة والحياة الكريمة.

والأخطر من ذلك كله حين « صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في **13** ديسمبر سنة **1946**م على اتفاقيتي الوصاية على إقليمي التوجو الكاميرون اللتين بموجبهما وضع هذان الآقليمان تحت إدارة فرنسا وطبقا للمادة الثالثة منها»[25]، وأحداث ماي لها قراءات كثيرة، قراءة استعمارية متعنتة تبدي الميل لصالح الإدارة، التي كان من واجبها تحمل مسؤولية ما يقع في الجزائر من أعمال الشغب والفوضى، ولزاما عليها درء الشكوك والمناورات والتي يتسبب في وقوعها الأهالي وقياداتهم الوطنية، وقراءة جزائرية ترى عكس ذلك حين تذهب إلى تأكيد مسؤولية إدارة الاحتلال والكولون في ما جرى في هذا اليوم المشؤوم، الذي أنزل الحزن بالجزائر كلها.

ج- نتائج **08** ماي **1945**: هذا ويمكن الاعتقاد بجواز فكرة أن حوادث **08** ماي لها اتصال ودور أساسي في الانطلاقة الثورية يوم الفاتح من نوفمبر **1954**، لأن هذا الاتجاه زاد تعمقا وزاد معه وعي الجزائريين سياسيا وجماهريا، بأن إدارة الاحتلال الفرنسي قد انتهجت سياسة المغالطة والتمويه وجعلت الجزائريين يعتقدون بجدوى الاستقلال والتحرر بمجرد القضاء على القوة الهتلرية المتنامية، هذا المنطق المغاير للحقيقة هو الذي أسهم إلى حد بعيد في إشعال فتيل المعارضة والرفض من قبل هؤلاء، وبذلك فند المزاعم التي ترى بأن هذا الشعب لا يثور إلا بدافع الجوع أو طلبا لحاجة.

ويمكن تلخيص نتائج هذه الحوادث على النحو الأتي:

- أحداث **08** ماي كانت نداء خافتا للثورة، وديباجة المقاومة الوطنية في مظهر جديد.

– أحداث سلمية تنم عن تبصر ووعي لدى قيادة الحركة الوطنية وبين أفراد الشعب الجزائري، أو لحظة التدافع الحضاري والانتقال إلى الأمام.

أما بشريا فقد أزهقت فيها الآلة العسكرية الفرنسية الآلاف من الجزائريين الأبرياء العزل، رغم اختلاف الإحصائيات بين جزائرية وفرنسية وأمريكية والتي تراوحت بين 15 ألف و45 ألف و80 ألف شهيد جزائري.

– منطق الحركة الوطنية الجديد، و تسارع الأحداث في جزائر الاستعمار.

– يكاد يجمع أغلب المؤرخين بأن أحداث 08 ماي 1945 أحداث سلمية للمطالبة بالاستقلال، لكنهم يدللون بطريقة أو بأخرى على أنها تحول نفسي في عقلية الجزائري الذي ألف الحرية ورفض الخنوع لإرادة المستعمر.

– ظهرت نتائج 8 ماي مدى حدة الصراع الذي كان بين الجزائريين والفرنسيين والذي هو في جوهره صراع حضاري، عقائدي، فلسفي، فكري ترجم واقعا حضاريا تقليديا واحدا كان ولازال بين الإسلام والصليبية.

– أظهرت 08 ماي وحدة نضالية بين الفعاليات الإيديولوجية للحركة الوطنية الجزائرية، لأنها عبرت في واقع الأمر عن مدى التطابق في توجهات نظر زعمائها الاستقلالية رغم اختلافهم إيديولوجيا.

– 08 ماي وقائع لا تمحى من الذاكرة الجزائرية.

لنا في هذا المجال أن نذكر بمقولة الشيخ البشير الإبراهيمي حين قال: «لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور ...ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله ».

–كذلك هي ترجمة بسيطة لواقع الاحتلال من خلال الوقوف عند معانيها واستخلاص دلالاتها، وبخاصة حين نجعل مقارنة في ميزان القوة بين جيش الاستعمار الذي تضعضعت ونخرت قواه أمام النازية سنة 1940 حيث لم يدم صموده بضعة أيام متتالية، حين أخذ يتهاوى ليقع في آخر المطاف في قبضة من هو أقوى منه، بشعب أعزل من السلاح وأمة دنسها الوجود الفرنسي واستسلمت لقدرها المحتوم، تلكم هي معادلة لم تتكافأ فيها الفرص ولم تتجانس فيها المعطيات، واقع تظهر فيه قوة المستعمر وتتبدد فيه معنويات الضعيف المغلوب على أمره .

– حينها نستلهم دروس الماضي وذكريات الاستعمار التعيسة، خاصة لما نتذكر معاناة أجدادنا أمام التعذيب والقهر[26]، ورغم ذلك وقفوا، صمدوا، ولم تهتز صفوفهم ولم يضطرب جانبهم، واليوم ونحن ننعم بالاستقلال علينا كباحثين أن نظهر جوانب تاريخنا وثقافتنا، وأن نعلم الأجيال الحالية والآتية العبرة من هذه الأحداث، وأن الاستعمار واحد رغم وجوهه المتغيرة ومواقعه المتبدلة، لكن جرمه وجوره لا يتبدلان ولا يتباينان .

– وكذلك أسهمت أحداث ماي 1945م في التعجيل بقيام الثورة، لما صعد الكثير من الجزائريين الجبال ومكثوا بها حتى تشكلت جبهة التحرير الوطني وجاءت ثورة نوفمبر، فنظموا إليها واحتضنوها وثابروا على القتال حتى تأتت ثماره وكتب الاستقلال .

– إذن فمرجعية الكفاح الوطني كان بكل تأكيد أحد مرجعيات نتائج الثامن من ماي الذي لا تمحوه الأيام و يقف شاهدا على وقائع الألم ومواضع عاشها أجدادنا بمرارتها وأحقادها، واليوم رغم تنكر السلطات الفرنسية وتسترها حول أحداث 08 ماي، غير أنها تلجأ من الحين إلى الأخر إلى الاعتراف ضمنيا بجرائمها مثلما نفهم من تصريح سفيرها هور كولن دوفارديار «بأن أحداث ماي 1945 بدايات لمحاولة الاعتراف بما اقترفته فرنسا في حق الجزائريين» غير أننا نعتبرها جادة وتحول في الموقف الرسمي الفرنسي بهدف تحقيق طموحات استعمارية من نوع جديد، من جهة أخرى ذهب المؤرخ يحي بوعزيز بعيدا حين قال: «بأن فرنسا خلال فترة الاستعمار لم تكن رحيمة مع الجزائريين، واستعملت شتى أساليب القوة والبطش إلا أن الشعب الجزائري تمسك بهويته و ثقافته»[27].

نستخلص من واقع وأحداث 08 ماي 1945 أن الجزائر كانت قد دخلت منعرجا حاسما ومرت إلى طريق جديد أوصلها في آخر المطاف إلى التحرر حين اندلعت الثورة في 01 نوفمبر 1954، لأن الذين اضطهدوا بنيران هذه المأساة قد صعدوا الجبال وشكلوا أولى خلايا الثورة، كما تعتبر هذه الأحداث جزءا بسيط من مشروع الإبادة والتقتيل الذي حمله غلاة الإدارة الفرنسية قبل وأثناء الثورة.

ومهما يكن فإن مأساة 08 ماي أثبتت بما لا يدعوا مجالا للشك أن إرادة الشعوب لا تقهرها العنجهية والبربرية والمغالاة ولا حتى سياسة تكميم الأفواه.

الهوامش:

1- فرحات عباس: ليل الاستعمار، (حرب الجزائر وثورتها)، تعريب: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة- المحمدية- المغرب، د. ت، ص.18

2- نسيب ثمر: فلسفة الحركة التحررية الوطنية، دار الرائد العربي، لبنان، دون تاريخ، ص.151

3- عبد الكريم بوصفصاف، خصائص الدولة الجزائرية في العصر الحديث (1520-1830)، مجلة: الحوار الفكري عدد03 سنة 03 جوان 2002، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ص 30 .

4- من بيان قسنطينة 16 / 09 / 1959 أنظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ط: 01 دار البعث قسنطينة سنة 1980، ص 481 .

5- هيكل محمد حسنين، آفاق الثمانينات، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ط.02، سنة 1983 ص 17 .

6- قنانش محمد، المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، من منشورات دحلب، الجزائر دون تاريخ ص 52، 67.

7- Ahmed Mahsas: Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie Éditions barkat Alger, mars 1990 ,p 213

8- عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الثانية (1936 - 1945) ج 03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص337.

9- تابت رضوان عيناد: 08 ماي في الجزائر، ترجمة: عيناد تابت ومغيلي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص142.

10- أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، صص211، 212 .

11- أنور الجندي، الجزائر والثقافة المعاصرة في المغرب العربي، القاهرة 1965، ص 236.

12- يرى السيد قنانش محمد من خلال مؤلفه المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، ص16 أنه بالإمكان تعويض لفظ الوطنية بالقومية.

13- صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة، القاهرة، مصر، معهد الدراسات العربية سنة 1936، ص26 .

14- عبد الرحمن بن العقون، مرجع سابق، ص320.

15- فرحات عباس، مرجع سابق، صص153 ،157.

16- أنظر قائمة بإحصاء لمجموعة كبيرة من الجزائريين الذين حكمت عليهم فرنسا بعقوبة السجن لعدة اعتبارات منها، مذنب لحمله السلاح ضد فرنسا أو لقبوله التسلح ضد السلطة العليا، ومن هؤلاء الذين حكمت عليهم فرنسا بالسجن نذكر سي الصدوق بلحاج وشركاؤه الذين اعتقلوا بسجن الحراش وهم كالتالي: سي ابراهيم بن سي الصدوق (طالب ببسكرة)، سي الطاهر بن سي الصدوق (طالب ببسكرة)، علي بن شطوح (فلاح)، مبروك بن العشيشي (وقاف)، وبلقاسم بن مبارك (فلاح) سي محمد بن صالح (مالك)، ومدة الحكم 10 سنوات الصادر بتاريخ 12 جانفي 1860، وأما الوثيقة فهي تؤرخ إلى سنة 17 مارس 1861 بالحراش، لمزيد من الإطلاع أنظر: - Caom archives Aix en Provence condamnation des émeutes 1945, carton 8CAB-112.

17- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1984، ص 184، 185.

18- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، الترجمة من الفرنسية: د.حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص287

19- نفس المرجع، ص290

20- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.04، ط: 07، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص371.

21- Stéphane Bernard: le conflit franco-marocain ,Bruxelles 1963,p56

22- أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، ج: 03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 223،225.

23- مصطفى الأشرف، مرجع سابق، ص293.

24- الشيء نفسه الذي كانت تدعيه إسبانيا حينما كانت تذكر الأوروبيين بأرمدتها التي لا تقهر، فإذا بالقوة البحرية الإنجليزية تجرفها إلى القاع في سنة 1588، فحطمت بذلك معالم القوة وتفوق البحرية الإسبانية.

25- مداخلة السيدين محفوظ قداش والجنيدي من خلال حوار حول الثورة، المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام، الجزائر، سنة 1986، ص ص 196، 197.

26- حول جرائم فرنسا وأساليب تعذيبها أنظر: الجنرال أوساريس، (شهادتي حول التعذيب) مصالح خاصة (1957-1959)، ترجمة: مصطفى فرحات، دار المعرفة، الجزائر، سنة 2004 .

27- أنظر: يحي بوعزيز، جريدة الخبر اليومية، عدد: يوم السبت 12 مارس 2005، ص15.